**أزمة الوسطيَّة الميقاتية في زمن الزوايا الحادَّة!**

29-10-2021 | 00:00 **المصدر**: "النهار"

**المحامي كارول سابا**

يُشهَد للرئيس [#نجيب ميقاتي](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d9%86%d8%ac%d9%8a%d8%a8+%d9%85%d9%8a%d9%82%d8%a7%d8%aa%d9%8a) خبرتُه وقُدرته على تدوير الزوايا والذكاء في التموضع. بالطبع، له باع كبير وخبرة طويلة في تشكيل الحكومات في "زمن الازمات"، منذ حكومته الاولى في الـ 2005 ومن ثم في الـ 2011 واليوم في الـ2021. لكن يبدو الرئيس الميقاتي الوسطي، وكأنه في زمن ليس زمنه، وفي ملعب لم يَعُد ملعبه، وكأنه هو الوسطي المدوِّر للزوايا والذي راكَم الخبرات التي تمكنه من اجتياز حقول الألغام، جعل من نفسه مِغواراً انتحارياً اقتحم السرايا لإنقاذ لبنان من الارتطام من دون خطة طريق في زمن لم تعد الوسطية تنفع فيه كونه زمن التموضعات المُتجابهة، المُتمترسَة بعضها على بعض، زمن "يا قاتل يا مقتول".

وهكذا يبدو الرئيس ميقاتي وكأنه نصَبَ لنفسه فخّا لا يدري كيف يخرج منه. فهو ليس قادرا لا على الوسطية ولا على المُواجهة، بل على المراوحة القاتلة له وللبنان. فلا الفرنسي والدولي داعِم له بالفعل، على رغم حفاوة الاستقبال في الاليزيه والطعام على الطاولة الشهيرة بأطباقها. ولا العربي ولا الخليجي يُرَحِّب به، لا بل يُقاطعه ويُصعِّد ضده ويَزيد في حِدَّة الانقطاع وإدارة الظهر للبنان المُتهاوي. ولا الاطراف الداخلية المَحلِّيَّة التي أتت به تُعطيه فترة سماح وهامش تحرك للإنقاذ، فالزمن زمن "يا قاتل يا مقتول"، وكل الأطراف لا تريد ان تفهمه بدءاً بالسنّة، طائفته حيث يتربَّص به مَن اعتقدوا انه "دَوْبَل" عليهم، وهم كانوا لا يزالون جرحى على ارض المعركة مُضرَّجين بالدماء وبالسِهام العدوة والصديقة.

فمِن تفاجُئِه من شطحات الوزير جورج قرداحي المُتنامِية (كيف يتفاجأ مَن كان يَعرِف؟)، الى تعليق جلسات مجلس الوزراء، الذي قيل عنه انه حكومة تكنوقراط ومستقلين، وإذا بهم، ومداخلاتهم الحادَّة في مجلس الوزراء تشهد على ذلك، أكثر هجومية من السياسيين، مرورا بذرف الدموع والتعبير عن الحزن (وهل يَحزن المسؤول؟) على هذه المشهدية او تلك التي لا تليق بسيادة الدولة ودولة السيادة، يبدو ان وسطيَّة الرئيس ميقاتي، التي مِثل "شَعر شمشون" كانت مصدر قوته، هي اليوم في ازمة بحيث يبدو يوما بعد يوم انه يتعايش مع مَن لا يشبهونه. ففي حين هو وسَطي، هم حادُّون بحديَّة وتمترُس وتموضعات قتاليّة وخطوط تماس ولا ينتظرون الا إشعال الفتيل، فتيل النار.

طبعاً للرجل قُدرة كبيرة وذكاء على الدخول في حقول الالغام واجتيازها والخروج منها بأقل أضرار، وهذا يتطلب من شخص مثله، وهذا ما لديه، فكرا استباقيا بمعرفة خريطة الالغام في ارض مُفخَّخة وكيفية تفكيكها لغما بعد لغم، او على الاقل الاستدارة من حولها. اقله، هذا كان في الماضي. اما اليوم فوسطيته بدأت تُستَنزَف وتظهر كأنها انفصامية، وكأنها وسطيَّة "عَجز"، تحزن وتذرف الدمع في زمن مطلوب فيه الإقدام بشجاعة الغازي المُقتَحِم، مطلوب فيه الاسراع في اتخاذ القرارات من دون التسَرُّع، لان السرعة تُفاجئ من يريد العرقلة بينما البطء يُعطيه مَساحة لذلك، مطلوب فيه ان يكون الجَرَّاح الذي يُمسِك بالمِبضَع ويقطع بحق ويَفصِل في اللحم الحيّ ليُداوي ما تبقّى من الجسد، المطلوب فيه وَعيٌ تام لما هو مُهِمّ وما هو أهَمّ، مطلوب فيه الدخول في حقل النار بسرعة لمَنع تمدُّدها، لا الوقوف على حافة الطريق وانتظار ان تأتي رياح مُعاكسة او امطار سماويَّة تُطفئ حِدَّة النار، مطلوب فيه الوعي التام والجرأة غير المُتناهِية وقيادة سريعة هادِفَة من دون ان تكون مُتسرِّعة للوصول بلبنان من الانهيار الى شاطئ الامن والامان ومن ثم التعافي.

الرجل الذي تكلم دائما بلغة الوسطية السياسية السنية فكانت له علاقات هنا وهناك، قيل الكثير فيها وفي مصالحها وتناقضاتها، لكونه جَسَرَ لنفسه وبنى جسوراً مع الجميع محليا وإقليميا وفي بعض الاوساط الدولية، كانت تُمَكِّنُه من اجتياز العواصف من دون الغرق. فكان يَنزل من السفينة، ويَنتظر ليستعيد عافية سياسية تجعله مرشحا للسرايا من جديد، على عكس مسار سلفه المُباشَر. مِن الطبيعي ان يسعى الرئيس ميقاتي الى زعامة سِنِّية. ومَن في موقعه وماله لا يبتغي ذلك؟ لكن مشكلته، بالأمس واليوم، ان سعيه للزعامة السنية كان ضرورة له لتكون له "حياة سياسية" في زمن "طغيان" (والكلمة ليست هنا مُستعملة بالمعنى السلبي، بل بمعنى الإنفلاش القوي) الحريرية السياسية. أولا، في زمن طغيان حريرية الاب الشهيد بالجَسَد قبل اغتياله وبعدما اغتيل. فكان الخلف للذي اغتيل ولمن وضع دمه على الارض في الطريق الى السرايا. ومن ثم، ثانية، سعى نجيب ميقاتي الى ان يكون له موقع في زمن "حريرية الابن"، الذي راكَم في البدء رصيدا ايجابيا كبيرا، وهو شخصية، وإنْ كانت مُحَبَّبة، لكنها بالطبع لم تكن مؤهلة لخلافة رفيق الحريري الذي راكَم خُبرات وعلاقات غطَّت ظِلالها الشرق وقسما من الغرب. فبعد استشهاد الوالد، وعلى رغم الرصيد الذي انطلق منه الابن، سار الأخير في خطى الوالد وعلى درب الزعامة السنيّة ولَبِس العباءة الكبيرة واستمر بها حتى لو كانت كبيرة بعض الشيء عليه. فلم يكن له من يُنافسه، فدم الشهيد كان لا يزال على الارض وكان السعي الى الحقيقة! ولكن مع الوقت ذابت المبدئية وكثرت المصلحية، ولم يقسَ عُود الابن على التمَرُّس والخبرة السياسية المُتراكمة، بل فقط على ضرورات الاستمرار، فراكَمَ الاخطاء والخيارات الخاطئة ووضع نفسه في عين العاصفة باستمرار، بخيارات وسياسات خاطِئة، وجعل الامور على نسبية فقد فيها البوصلة وأفقَدَ البوصلة لمن تبعه وكان معه، وها هو يُستشهد سياسياً تَدرُّجاً، لان المصلحية طغت في تموضعاته على المبدئية. يبقى انه على رغم صعوبة تعافي الابن، لا مَساحة اليوم لوسطية سياسية سنية لان الساحة وكل الساحات هي في عملية شَدّ للعصبية الطائفية. فساحات المواجهة حامية وهي ترقص على إيقاع "يا قاتل يا مقتول". اما مشكلة الرئيس ميقاتي الثانية اليوم، وهي اشد ايلاما من السابقة، فهي انه اول رئيس حكومة سنّي في لبنان، بعد نيله الثقة، لا يَستدير الى العمق السني العربي، ولا المصري والخليجي بالأخص، بل يستنجد بالغرب وبالرئيس إيمانويل ماكرون، كأن الاخير قادر على النجدة.

وهكذا، جعل الرئيس ميقاتي نفسه رهينة المُعادلات المُستحيلة، مُعتقداً انه يمكن ان يختصر بوسطيته وذكائه كل تناقضات المرحلة ويجعلها على خلاصة إيجابية، في حين ان الزمن هو زمن "يا قاتل يا مقتول" وليس زمن تعايش مُمكن للدولة وللدويلات وكلاهما على انكشاف. فهو يتكلم مع من لا يقدر على إنقاذه او مع من لا يريد انقاذه، لان إنقاذه هو انقاذ لما تبقى من منطق الدولة، دولة القانون، ومُنقطع داخليا وإقليميا عن المساحة الطبيعية التي من خلالها يكون له وللبنان قدرة على تجسير الإنقاذ ومن ثم التعافي ... عندما يتم تدمير كل الجسور لا تبقى هناك إمكانية لأي عبور! هل من تصحيح مُمكن للخروج من منطق الفخ القاتِل؟

ازمة الرئيس ميقاتي هي بعض الشيء ازمة السنية السياسية والخيارات التي اتخذتها مؤخراً، وأزمة الشيعية السياسية وتقوقعها بالثنائية وعلى منطق فائض القوة، فيما يبدو اليوم أكثر فأكثر كانتحار سياسي وطني، بينما الإمام الصدر والإمام شمس الدين كانا يُجسِّران جسديهما وفكريهما لمُلاقاة اللبناني الآخر، وأزمة الشريك المسيحي الوطني الذي فقدَ البوصلة الوطنية ايضا وسَكِر بعملية القبض على السلطة. فمَن يُريد فعلا "لبنان اولا" اليوم، عليه ان يَجنح أكثر نحو السيادة والمَبدئية في الخيارات منه نحو المصلحية وتمييع المقاييس والمطاطية المصلحية. فلا إمكانية لتجسير إنقاذ للبنان اليوم من دون تصحيح البوصلة الوطنية، من خلال اعادة تركيز معنى "لبنان اولاً"، بين كل المُكونات السياديّة، وهذا يتم من خلال جبهة سيادية لا طائفية، وليس من خلال خوض الانتخابات المعلّبة، جبهة تقول لكل الدويلات كفى، الأمر لي!